سِلْسِلَةُ النَّصِيحَةِ الذَّهَبِيَّةِ لِلْعَوْدَةِ إِلَى السَّلَفِيَّةِ 112

النَّصِيحَةُ الذَّهَبِيَّةُ

مِنَ الْإِمَامِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ
الْعَلْثِيِّ الْحَنْبَلِيِّ: أَبِي الْفَضْلِ الزَّاهِدِ الْقُدْوَةِ رحمه الله تعالى
إِلَى أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رحمه الله تعالى
فِيمَا أَخْطَأَ فِيهِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ فِي الدِّينِ

إِعْدَادُ:
الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ
فَوْزِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُمَيْدِيِّ الْأَثَرِيِّ
حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ

سِلْسِلَةُ النَّصِيحَةِ الذَّهَبِيَّةِ لِلْعَوْدَةِ إِلَى السَّلَفِيَّةِ
112
النَّصِيحَةُ الذَّهَبِيَّةُ
مِنَ الْإِمَامِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ
الْعَلْثِيِّ الْحَنْبَلِيِّ: أَبِي الْفَضْلِ الزَّاهِدِ الْقُدْوَةِ
إِلَى أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ
فِيمَا أَخْطَأَ فِيهِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ فِي الدِّينِ

حُقوقُ الطبعِ مَحفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ ٢٠٢٤

مكتبة أهل الحديث

مملكة البحرين - قلالي

التويتر: ahel_alhadeeth@

البريد: ahel.alhadeeth@gmail.com

سِلْسِلَةُ النَّصِيحَةِ الذَّهَبِيَّةِ لِلْعَوْدَةِ إِلَى السَّلَفِيَّةِ 112

النَّصِيحَةُ الذَّهَبِيَّةُ

مِنَ الْإِمَامِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ
الْعَلْثِيِّ الْحَنْبَلِيِّ: أَبِي الْفَضْلِ الزَّاهِدِ الْقُدْوَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَى أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
فِيمَا أَخْطَأَ فِيهِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ فِي الدِّينِ

إِعْدَادُ:
الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ
فَوْزِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُمَيْدِيِّ الْأَثَرِيِّ
حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ

فَتْوَى

الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ حَجَرٍ آلِ بُو طَامِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ

فِي

شِدَّةِ الْخَطَرِ الَّذِي يُحِيطُ بِالْمُسْلِمِ إِذَا أَخَذَ بِزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ فِي الدِّينِ

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ آلُ بُو طَامِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الأَنَامِ» (ص٨): (وَلَوْ تَتَبَّعَ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ الْعَارِفُ بِدِينِهِ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ [١]، **لَأَوْشَكَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدِّينِ**).اهـ

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَثَرِيُّ: لَأَوْشَكَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدِّينِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ الصَّغِيرَةَ بَرِيدٌ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ الْكَبِيرَةِ وَلَا بُدَّ، **وَأَخْذُ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ عَنْ طَرِيقِ تَقْلِيدِهِمْ مِنَ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ**[٢]، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

---

(١) **قُلْتُ:** وَهَذَا الَّذِي حَصَلَ لِلْمُقَلِّدَةِ، وَالْمُتَعَالِمَةِ مِنَ الضَّلَالِ فِي الدِّينِ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ، وَبِأَخْذِهِمْ بِزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

(٢) وَانْظُرْ: «الصَّحِيحَةَ» لِلشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ (ج٥ ص١٤).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (ج١٢ ص٣٠): (مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْصِدَ الْخُرُوجَ مِنْهُ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَارَ دِينًا عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ). اهـ.

❁ ❁ ❁

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

الْمُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَىٰ، يُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَىٰ، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ، وأَقْبَحَ أَثَرِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ!.

* يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، **يَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ، وَفِي اللهِ، وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ**، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمُضِلِّينَ [1].

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ وُرَيْقَاتٌ جَلِيلَةٌ، وَصَفَحَاتٌ مُشْرِقَةٌ، تَتَضَمَّنُ نَصِيحَةَ: الْإِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَلْثِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، لِلْإِمَامِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِيمَا أَخْطَأَ فِيهِ فِي اجْتِهَادَاتِهِ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ.

---

(١) اُنْظُرْ: «الرَّدَّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ (ص١٧٠).

* وَهِيَ نَصِيحَةٌ مُهِمَّةٌ أَيْضًا لِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّرُ الْإِفْتَاءَ، وَالتَّدْرِيسَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ فِي الدِّينِ.

* **لِذَلِكَ**: يَجِبُ الرَّدُّ عَلَيْهِ، وَنُصْحُهُ فِيمَا زَلَّ فِيهِ وَأَخْطَأَ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ عَالِمًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ مِنَ الْخَطَأِ فِي الِاجْتِهَادِ.(١)

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٥): (اعْلَمْ: أَنَّ ذِكْرَ الْإِنْسَانِ بِمَا يَكْرَهُ مُحَرَّمٌ، إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ مُجَرَّدَ الذَّمِّ، وَالْعَيْبِ، وَالنَّقْصِ.

* **فَأَمَّا إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ خَاصَّةٌ لِبَعْضِهِمْ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ تَحْصِيلَ تِلْكَ الْمَصْلَحَةِ فَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ، بَلْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.**

* وَقَدْ قَرَّرَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ هَذَا فِي كُتُبِهِمْ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَذَكَرُوا الْفَرْقَ بَيْنَ جَرْحِ الرُّوَاةِ، وَبَيْنَ الْغِيبَةِ، وَرَدُّوا عَلَىٰ مَنْ سَوَّىٰ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَتَّسِعُ عِلْمُهُ، **وَلَا فَرَّقَ بَيْنَ الطَّعْنِ فِي رُوَاةِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ، وَلَا التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَنْ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَا تُقْبَلُ، وَبَيْنَ تَبْيِينِ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،** وَتَأَوَّلَ شَيْئًا مِنْهَا عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَتَمَسَّكَ بِمَا لَا يُتَمَسَّكُ بِهِ، لِيُحَذِّرَ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِيمَا أَخْطَأَ فِيهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ جَوَازِ ذَلِكَ أَيْضًا). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٩): (فَحِينَئِذٍ، فَرَدُّ الْمَقَالَاتِ الضَّعِيفَةِ، وَتَبْيِينُ الْحَقِّ فِي خِلَافِهَا بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، **لَيْسَ هُوَ مِمَّا يَكْرَهُهُ أُولَٰئِكَ الْعُلَمَاءُ، بَلْ مِمَّا يُحِبُّونَهُ، وَيَمْدَحُونَ فَاعِلَهُ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ،** فَلَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي بَابِ الْغِيبَةِ بِالْكُلِّيَّةِ.

---

(١) **قُلْتُ**: وَالْأَمْرُ دِينٌ، فَلَا مُحَابَاةَ لِأَحَدٍ أَخْطَأَ فِي الْحُكْمِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ.

* فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ أَحَدًا يَكْرَهُ إِظْهَارَ خَطَئِهِ الْمُخَالِفِ لِلْحَقِّ، فَلَا عِبْرَةَ بِكَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ، فَإِنَّ كَرَاهَةَ إِظْهَارِ الْحَقِّ إِذَا كَانَ مُخَالِفًا لِقَوْلِ الرَّجُلِ؛ لَيْسَ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ ظُهُورَ الْحَقِّ، وَمَعْرِفَةَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي مُوَافَقَتِهِ أَوْ مُخَالَفَتِهِ، **وَهَذَا مِنَ النَّصِيحَةِ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَدِينِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**، وَذَلِكَ[1] هُوَ: الدِّينُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَّا بَيَانُ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَبْلَهُ، إِذَا تَأَدَّبَ فِي الْخِطَابِ، وَأَحْسَنَ الرَّدَّ وَالْجَوَابَ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَلَا لَوْمَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ صَدَرَ مِنْهُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِمَقَالَتِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ.

* وَقَدْ بَالَغَ الْأَئِمَّةُ الْوَرِعُونَ فِي إِنْكَارِ مَقَالَاتٍ ضَعِيفَةٍ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَرَدِّهَا أَبْلَغَ الرَّدِّ، كَمَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يُنْكِرُ عَلَىٰ أَبِي ثَوْرٍ، وَغَيرِهِ مَقَالَاتٍ ضَعِيفَةٍ تَفَرَّدُوا بِهَا، وَيُبَالِغُ فِي رَدِّهَا عَلَيْهِمْ، هَذَا كُلُّهُ حُكْمُ الظَّاهِرِ). اهـ.

وَبَوَّبَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَدْخَلِ» (ج٢ ص٨٧٠): بَابُ مَا يُخْشَىٰ مِنْ زَلَّةِ الْعَالِمِ أَوِ الْعَمَلِ.

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرَّقَائِقِ» (ج٢ ص٦٨١): بَابٌ فِي زَلَّةِ الْعَالِمِ.

---

(١) يُشِيرُ إِلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)، مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٧٤).

قُلْتُ: وَأَكْثَرُ النَّاسِ يُفْتَنُونَ بِزَلَّةِ عَالِمٍ، وَلِأَنَّهُ إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ كَثِيرٌ [١]، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

فَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا غُبَّرَاتٌ [٢] قَلِيلٌ فِي أَوْعِيَةِ سُوءٍ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُوا دِينَكُمْ). [٣]

وَبَوَّبَ الْحَافِظُ ابْنُ أَبِي إِيَاسٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْعِلْمِ» (ص١٦٢): بَابُ أَخْذِ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. [٤]

قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ يُضِلُّونَ النَّاسَ وَيُحَدِّثُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ الْقَوَاعِدِ الْمُثْلَى» (ص٢٢٦): (وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ زَلَّةَ الْعَالِمِ أَشَدُّ مِنْ زَلَّةِ غَيْرِهِ). اهـ.

---

(١) وَانْظُرْ: «الرَّقَائِقَ» لِابْنِ الْمُبَارَكِ (ج٢ ص٦٨١)، وَ«الْفَقِيهَ وَالْمُتَفَقِّهَ» لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (ج٢ ص٢٦)، وَ«ذَمَّ الْكَلَامِ» لِلْهَرَوِيِّ (ج٤ ص٢٨١)، وَ«تَارِيخَ دِمَشْقَ» لِابْنِ عَسَاكِرَ (ج٤٧ ص٤٦٠)، وَ«جَمْعَ الْجُيُوشِ وَالدَّسَاكِرِ» لِابْنِ عَبْدِ الْهَادِي (ص٢١).

(٢) **غُبَّرَاتٌ**: بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيدِ، بَقِيَّةُ الشَّيْءِ.

انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٥ ص٣٢٠٥)، وَ«مُخْتَارَ الصِّحَاحِ» لِلرَّازِيِّ (ص٤٤٧).

(٣) **أَثَرٌ حَسَنٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي إِيَاسٍ فِي «الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ» (ص١٦٣)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (ج١ ص١٦١).

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٤) **قُلْتُ**: وَإِنَّ مِمَّا يُوصَىٰ بِهِ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِلْمَ عَنْ أَهْلِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ بِعِلْمِهِ، فَيَنْظُرْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ للهِ تَعَالَىٰ، وَإِلَىٰ سِيرَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ، هَلْ هِيَ مُتَّفِقَةٌ مَعَ ذَلِكَ الْعِلْمِ أَوْ تُخَالِفُهُ؟!، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ عَنِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ، وَيَحْرِصُ عَلَىٰ صُحْبَتِهِمْ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُمُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالْأَخْلَاقَ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ آلُ بُو طَامِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْأَنَامِ» (ص٨): (وَلَوْ تَتَبَّعَ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ الْعَارِفُ بِدِينِهِ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ؛ لَأَوْشَكَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدِّينِ).اهـ.

* **لِهَذَا اسْتَقَرَّ أَمْرُ مَذْهَبِ**: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَىٰ تَبْيِينِ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ فِي الْفَتَاوَىٰ، كَائِنًا مَنْ كَانَ.

* حَتَّىٰ صَارُوا يَذْكُرُونَ هَذَا الْأَصْلَ: فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْمُخَالِفِ فِي كُتُبِهِمْ، وَيَأْمُرُونَ بِذَلِكَ.

قُلْتُ: وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ نُبَيِّنَ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَيَانُ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ مِنَ الدُّعَاةِ.

* وَهَذَا التَّبْيِينُ هُوَ مِنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ لِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ، وَصِيَانَتِهَا عَنْ أَنْ تُلْزَمَ بِأَخْطَاءِ الدُّعَاةِ، وَهُوَ مِنَ النَّصِيحَةِ للهِ تَعَالَىٰ، وَلِكِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَرَسُولِهِ ﷺ.[1]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (ص٨٥): (وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّصْحِ للهِ، وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، رَدُّ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ بالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ مُورِدِهَا، وَبَيَانُ دَلَالَتِهِمَا عَلَىٰ مَا يُخَالِفُ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا.

وَكَذَلِكَ: رَدُّ الْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ مِنْ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَبَيَانُ دَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ رَدِّهَا). اهـ

قُلْتُ: وَهَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ شَوَّشَ عَلَيْهِ دُعَاةُ التَّجْمِيعِ؛ فَصَاحُوا بِمَنْ قَامَ بِهَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، وَسَمَّوْا مَنْ قَامَ بِهَذَا الْوَاجِبِ بِدَاعِيَةِ الْفِتْنَةِ!.

---

(١) وَانْظُرِ: «الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج١٩ ص١٢٣).

* وَهَذَا مَقَامٌ خَطِرٌ؛ فَإِنَّ الْأَخْطَاءَ، وَالْبِدَعَ تُصَانُ طَلَبًا لِإِزَالَةِ الْفِتْنَةِ الَّتِي زَعَمُوا، وَيَكُونُ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ أَعْظَمَ فِتْنَةً لِمَا فِيهِ مِنْ صِيَانَةِ الْبَاطِلِ، وَمُحَارَبَةِ مَنْ يُنْكِرُونَهُ.

بَلْ وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرُ أَنْ نَزَّلُوا نُصُوصَ الْخَوَارِجِ فِي حَقِّ الْمُنْكِرِينَ، فَقَالُوا عَنْهُمْ: خَوَارِجُ مَعَ الدُّعَاةِ!.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ» (ج٢ ص٩٨٢): (وَشَبَّهَ الْعُلَمَاءُ زَلَّةَ الْعَالِمِ بِانْكِسَارِ السَّفِينَةِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا غَرِقَتْ غَرِقَ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَإِذَا ثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّ الْعَالِمَ يُخْطِئُ وَيَزِلُّ لَمْ يَجُزْ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ وَيَدِينَ بِقَوْلٍ لَا يَعْرِفُ وَجْهَهُ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُحَلَّىٰ بِالْآثَارِ» (ج١ ص٤٨٨): (وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُقَلِّدَ أَحَدًا، لَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ» (ج٣ ص٤٦٢): (تَحْرِيمُ الْإِفْتَاءِ بِالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّهُ إِفْتَاءٌ بِغَيْرِ ثَبْتٍ؛ فَإِنَّ الثَّبْتَ الْحُجَّةُ الَّتِي يَثْبُتُ بِهَا الْحُكْمُ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ). اهـ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ صَالِحٌ الْفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ فِي «الْأَجْوِبَةِ الْمُفِيدَةِ» (ص٦٤): (مَنْ يَغْلُو فِي التَّقْلِيدِ حَتَّىٰ يَتَعَصَّبَ لِآرَاءِ الرِّجَالِ، وَإِنْ خَالَفَتِ الدَّلِيلَ، **وَهَذَا مَذْمُومٌ، وَقَدْ يَؤُولُ لِلْكُفْرِ**). اهـ

قُلْتُ: فَالتَّقْلِيدُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ غَيْرُ الِاتِّبَاعِ؛ لِأَنَّ التَّقْلِيدَ؛ كَمَا بَيَّنَا هُوَ الْأَخْذُ بِقَوْلِ الْغَيْرِ بِلَا حُجَّةٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٥): (وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُرَادُ الرَّادِّ بِذَلِكَ إِظْهَارَ عَيْبِ مَنْ ردَّ عَلَيْهِ، وَتَنَقُّصَهُ، وَتَبْيِينَ جَهْلِهِ،

وقُصُورِهِ فِي الْعِلْمِ – بِزَعْمِهِ – وَنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ مُحَرَّمًا، سَوَاءٌ كَانَ رَدُّهُ لِذَلِكَ فِي وَجْهِ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِ، وَسَوَاءٌ كَانَ فِي حَيَاتِهِ، أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذَا دَاخِلٌ فِيمَا ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ). اهـ

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٢):

(وَأَمَّا بَيَانُ خَطَأِ مَنْ أَخْطَأَ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَبْلَهُ، إِذَا تَأَدَّبَ فِي الْخِطَابِ، وَأَحْسَنَ فِي الرَّدِّ وَالْجَوَابِ فَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ، وَلاَ لَوْمَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ). اهـ

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٩):

(وَأَمَّا إِشَاعَةُ، وَإِظْهَارُ الْعُيُوبِ فَهُوَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَرَسُولُهُ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النُّورُ:١٩]، فَلِهَذَا كَانَ إِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ مُقْتَرِنَةً بِالتَّعْيِيرِ، وَهُمَا مِنْ خِصَالِ الْفُجَّارِ، لِأَنَّ الْفَاجِرَ لَا غَرَضَ لَهُ فِي زَوَالِ الْمَفَاسِدِ، وَلَا فِي اجْتِنَابِ الْمُؤْمِنِ لِلنَّقَائِصِ وَالْمَعَايِبِ، إِنَّمَا غَرَضُهُ فِي مُجَرَّدِ إِشَاعَةِ الْعَيْبِ فِي أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَهَتْكِ عِرْضِهِ، فَهُوَ يُعِيدُ ذَلِكَ وَيُبْدِيهِ، وَمَقْصُودُهُ تَنَقُّصُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي إِظْهَارِ عُيُوبِهِ، وَمَسَاوِيهِ لِلنَّاسِ لِيُدْخِلَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الضَّرَرَ فِي الدُّنْيَا!). اهـ

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٣٠):

(وَأَمَّا الْحَامِلُ لِلْفَاجِرِ عَلَىٰ إِشَاعَةِ السُّوءِ وَهَتْكِهِ، فَهُوَ الْقَسْوَةُ وَالْغِلْظَةُ، وَمَحَبَّتُهُ إِيذَاءَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَإِدْخَالَ الضَّرَرِ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُزَيِّنُ لِبَنِي آدَمَ الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ لِيَصِيرُوا بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فَاطِرُ:٦] ...

فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ قَصْدُهُ النَّصِيحَةُ، وَبَيْنَ مَنْ قَصْدُهُ الفَضِيحَةُ، وَلَا تَلْتَبِسُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَىٰ إِلاَّ عَلَىٰ مَنْ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ). اهـ

قُلْتُ: وَمِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ تَوْحِيدُ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِشَاعَةُ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةُ[1] بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمُرَاعَاةُ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا مِنَ الْحُقُوقِ تِجَاهَ إِخْوَانِنَا، وَهَذَا لَا يَأْتِي إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ، وَمَعْرِفَةٍ، وَاطِّلَاعٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الْحُجُرَاتُ:١٢].

* يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ، وَهُوَ التُّهْمَةُ، وَالتَّخَوُّنُ لِلْأَهْلِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالنَّاسِ فِي غَيْرِ مَحِلِّهِ، لِأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا مَحْضًا، فَلْيُجْتَنَبْ كَثِيرٌ مِنْهُ احْتِيَاطًا.[2]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٢٦): (وَمَنْ حَمَلَ كَلَامَهُ، وَالْحَالُ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ، فَهُوَ مِمَّنْ يَظُنُّ بِالْبَرِيءِ الظَّنَّ السُّوءَ، وَذَلِكَ مِنَ الظَّنِّ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَرَسُولُهُ ﷺ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي؛ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النِّسَاءُ:١١٢]، فَإِنَّ الظَّنَّ السُّوءَ مِمَّنْ لاَ يَظْهَرُ مِنْهُ - أَعْنِي هَذَا الظَّانَّ - أَمَارَاتُ السُّوءِ، مِثْلَ: كَثْرَةِ

---

(١) **قُلْتُ**: وَالْأُخُوَّةُ حُرْمَةٌ يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَها، وَقَدْ جَعَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ شَرْطًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٧٤).

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٢٧).

الْبَغْيِ، وَالْعُدْوَانِ، وَقِلَّةِ الْوَرَعِ، وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ، وَكَثْرَةِ الْغِيبَةِ، وَالْبُهْتَانِ، وَالْحَسَدِ لِلنَّاسِ، عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالِامْتِنَانِ، وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَىٰ الْمُزَاحَمَةِ عَلَىٰ الرِّئَا سَاتِ قَبْلَ الْأَوَانِ، فَمَنَ عُرِفَتْ مِنْهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي لَا يَرْضَىٰ بِهَا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُحْمَلُ تَعَرُّضُهُ لِلْعُلَمَاءِ، وَرَدُّهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ الْوَجْهِ الثَّانِي فَيَسْتَحِقُّ حِينَئِذٍ مُقَابَلَتَهُ بِالْهَوَانِ، وَمَنْ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ أَمَارَاتٌ بِالْكُلِّيَّةِ تَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ مُحْمَلَاتِهِ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَىٰ أَسْوَأِ حَالَاتِهِ، **وَقَدْ قَالَ عُمَرُ** ﷺ: **(لَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا)**[1]. اهـ

قُلْتُ: فَالْعِلَّةُ إِذًا تَتَبُّعُ الْأَخِ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِهِ[2]، اللَّهُمَّ غَفْرًا.

* وَهَذِهِ الْعِلَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ وَالْأُولَىٰ فِي أَتْبَاعِ الْجَمَاعَاتِ الْحِزْبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ فِي تَمْزِيقِ الْأُخُوَّةِ، وَتَشْتِيتِ الْأَحْبَابِ، وَذَهَابِ الْأُلْفَةِ، وَالْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يَرْحَمُوا الْمُسْلِمِينَ،

---

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ**.

أَخْرَجَهُ الْمَحَامِلِيُّ فِي «الْأَمَالِي» (ص٣٩٥) مِنْ طَرِيقِ نَافِعِ بْنِ عَامِرٍ الْجُمَحِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَتَابَعَهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِهِ.

أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (ج٤٤ ص٣٦٠)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْمُتَّفِقِ وَالْمُفْتَرِقِ» (ج١ ص٣٠٥) مِنْ طَرِيقِ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ بِهِ.

وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٢٢٧).

(٢) **قُلْتُ**: بَلْ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

بَلْ وَلَمْ يَرْحَمُوا أَنْفُسَهُمْ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مِنْهُمْ فِي اخْتِلَافَاتِهِمْ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَهَذَا عِقَابُ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ.

فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)، وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ).(١)

قُلْتُ: وَعَلَىٰ هَذَا فَمَنِ ابْتُلِيَ بِشَيءٍ مِنْ مَكْرِ الْحِزْبِيَّةِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَيَسْتَعِينَ بِهِ، وَيَصْبِرَ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٣٧): (وَمَنْ بُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَكْرِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَيَسْتَعِينَ بِهِ، وَيَصْبِرَ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَىٰ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ أَنْ قَصَّ قِصَّةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا حَصَلَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذَىٰ بِالْمَكْرِ، وَالْمُخَادَعَةِ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يُوسُفُ:٢١]، وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُفُ:٩٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَا حَصَلَ لَهُ، وَلِقَوْمِهِ مِنْ أَذَىٰ فِرْعَوْنَ وَكَيْدِهِ، قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأَعْرَافُ:١٢٨]، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْمَكْرَ يَعُودُ وَبَالُهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِرُ:٤٣]،

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج١٠ ص٣٤٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٣١٩)، وَأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (ج٤ ص٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ:١٢٣]، وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ سَبَرَ أَخْبَارَ النَّاسِ، وَتُوارِيخَ الْعَالَمِ وَقَفَ عَلَىٰ أَخْبَارِ مَنْ مَكَرَ بِأَخِيهِ فَعَادَ مَكْرُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِنَجَاتِهِ وَسَلَامَتِهِ عَلَىٰ الْعَجَبِ الْعُجَابِ).[1] اهـ

قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ لَهُمُ النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ فِي هَذَا الْكَلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مَكْرٍ[2]، **وَيُظْهِرُونَ مَكْرَهُمْ فِي صُورَةِ نُصْحٍ**، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٣١): (وَعُقُوبَةُ مَنْ أَشَاعَ السُّوءَ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَتَتَبَّعَ عُيُوبَهُ، وَكَشَفَ عَوْرَتَهُ، أَنْ يَتَّبِعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَيَفْضَحَهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ). اهـ

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص٣٤) فِيمَنْ يُظْهِرُ النَّصْحَ، وَيُبْطِنُ التَّعْيِيرَ وَالْأَذَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: (وَمَنْ أَخْرَجَ التَّعْيِيرَ وَأَظْهَرَ السُّوءَ وَإِشَاعَتَهُ فِي قَالِبِ النُّصْحِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْعُيُوبُ، إِمَّا عَامًّا أَوْ خَاصًّا، وَكَانَ فِي الْبَاطِنِ إِنَّمَا غَرَضُهُ التَّعْيِيرُ وَالْأَذَىٰ، فَهُوَ مِنْ إِخْوَانِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَمَّهُمْ اللهُ فِي كِتَابِهِ، فِي مَوَاضِعَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَمَّ مَنْ أَظْهَرَ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا حَسَنًا، وَأَرَادَ بِهِ التَّوَصُّلَ إِلَىٰ غَرَضٍ فَاسِدٍ يَقْصُدُهُ فِي الْبَاطِنِ، وَعَدَّ ذَلِكَ

---

(١) **قُلْتُ**: وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَلَا بُدَّ.

(٢) فَقَدْ مَكَرُوا قَدِيمًا وَحَدِيثًا بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَطَلَبَتِهِمْ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

* وَقَدْ عَادَ مَكْرُهُمْ عَلَيْهِمْ وَبَالًا، وَقَدْ هُزِمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَىٰ يَدَيْ عُلَمَاءِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ وَطَلَبَتِهِمْ، وَالوَاقِعُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ.

مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ؛ كَمَا فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ الَّتِي هَتَكَ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ وَفَضَحَهُمْ بِأَوْصَافِهِمْ الْخَبِيثَةِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ «١٠٧» لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾ [التَّوْبَةُ:١٠٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٨٨]، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، لَمَّا سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، وَقَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمِدُوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِ، وَمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

* **كَذَلِكَ**: قَالَ ابْنُ عِبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَدِيثُهُ بِذَلِكَ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».(١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ).(٢)

* فَهَذِهِ الْخِصَالُ، خِصَالُ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ فِي الظَّاهِرِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، وَهُوَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَ عَلَيْهَا حَسَنٌ، وَمَقْصُودُهُ بِذَلِكَ التَّوَصُّلُ إِلَىٰ غَرَضٍ فَاسِدٍ، فَيَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ الْحَسَنِ، وَيَتَوَصَّلُ هُوَ بِهِ إِلَىٰ غَرَضِهِ الْفَاسِدِ الَّذِي أَبْطَنَهُ، وَيَفْرَحُ بِحَمْدِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ الَّذِي أَظْهَرَ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَفِي الْبَاطِنِ شَيْءٌ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٤٥٦٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٧٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٤٥٦٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٧٧).

وَعَلَىٰ تَوَصُّلِهِ فِي الْبَاطِنِ إِلَىٰ غَرَضِهِ السَّيِّءِ، فَتَتِمُّ لَهُ الْفَائِدَةُ، وَتُنَفَّذُ لَهُ الْحِيلَةُ بِهَذَا الْخِدَاعِ!!.

* وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا بُدَّ، فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ يُرِيدَ الْإِنْسَانُ ذَمَّ رَجُلٍ وَتَنَقُّصَهُ، وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ لِيُنَفِّرَ النَّاسَ عَنْهُ؛ إِمَّا مَحَبَّةً لِإِيذَائِهِ أَوْ لِعَدَاوَتِهِ، أَوْ مَخَافَةً مِنْ مُزَاحَمَتِهِ عَلَىٰ مَالٍ أَوْ رِيَاسَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَذْمُومَةِ، فَلَا يَتَوَصَّلُ إِلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا بِإِظْهَارِ الطَّعْنِ فِيهِ بِسَبَبٍ دِينِيٍّ، مِثْلُ: **أَنْ يَكُونَ قَدْ رَدَّ قَوْلًا ضَعِيفًا مِنْ أَقْوَالِ عَالِمٍ**[1] **مَشْهُورٍ فَيُشِيعُ بَيْنَ مَنْ يُعَظِّمُ ذَلِكَ الْعَالِمَ، أَنَّ فُلَانًا يُبْغِضُ هَذَا الْعَالِمَ وَيَذُمُّهُ وَيَطْعُنُ عَلَيْهِ فَيَغِرُّ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ يُعَظِّمُهُ، وَيُوهِمُهُمْ أَنَّ بُغْضَ الرَّادِّ وَأَذَاهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُرَبِ، لِأَنَّهُ ذَبٌّ عَنْ ذَلِكَ الْعَالِمِ، وَرَفْعُ الْأَذَىٰ عَنْهُ، وَذَلِكَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَتُهُ؛ فَيَجْمَعُ هَذَا الْمُظْهِرُ لِلنُّصْحِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ مُحَرَّمَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُحْمَلَ رَدُّ هَذَا الْعَالِمِ الْقَوْلَ الْآخَرَ عَلَىٰ الْبُغْضِ، وَالطَّعْنِ، وَالْهَوَىٰ، وَقَدْ يَكُونُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ النُّصْحَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِظْهَارَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ كِتْمَانُهُ مِنَ الْعِلْمِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يُظْهِرَ الطَّعْنَ عَلَيْهِ لِيَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَىٰ هَوَاهُ، وَغَرَضِهِ الْفَاسِدِ فِي قَالَبِ النُّصْحِ، وَالذَّبِّ عَنْ عُلَمَاءِ الشَّرْعِ.

* وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْمَكِيدَةِ كَانَ ظُلْمُ بَنِي مَرْوَانَ وَأَتْبَاعِهِمْ، يَسْتَمِيلُونَ النَّاسَ إِلَيْهِمْ، وَيُنَفِّرُونَ قُلُوبَهُمْ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ وَذُرِّيَّتِهِمْ ﷺ أَجْمَعِينَ). اهـ

---

(١) **قُلْتُ**: فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ!.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ص٣٩): (وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ[1]؛ فَلَا يُقْتَدَىٰ بِزَلَّتِهِ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ عَانَدَ الْحَقَّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَقِيقٌ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ لِئَلَّا يَقَعَ فِي بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ). اهـ

* وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ تَنْزَلِقَ أَقْدَامُ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

* وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ تَرَبَّىٰ عَلَىٰ كُتُبِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ فِي الْجُمْلَةِ، وَنَشَأَ بَيْنَهُمْ، كَيْفَ يَضِلُّ فِي ذَلِكَ، وَيَغْضَبُ لِزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ؛ وَيَقُولُ بِهَا عَلَىٰ أَنَّهَا مِنَ الدِّينِ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ، فَزَلَّ بِسَبَبِ جَهْلِهِ، وَخَالَفَ نَصِيحَةَ الدِّينِ.

* **وَالرَّسُولُ** ﷺ: بَيَّنَ هَذَا الْأَصْلَ، بَيَانًا، شَائِعًا، ذَائِعًا، لِكُلِّ وَجْهٍ مِنَ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا، وَقَدَرًا.

* ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَنَّ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ: لَا يُؤْخَذُ بِهَا فِي الدِّينِ.[2]

* وَهَذَا إِنَّمَا نَتَجَ عَنْ تَحْكِيمِ الْعَوَاطِفِ، وَالتَّعَصُّبِ لِلرِّجَالِ، وَتَلَقِّي هَذِهِ الْأَفْكَارِ عَنْ غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

---

(١) **قُلْتُ**: فَهَذَا يُرِيدُ طَرِيقَ الْخَيْرِ، لَكِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ الشَّرِّ، فَلَا يُقْتَدَىٰ بِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكْفِي أَنَّ الْعَبْدَ يُرِيدُ طَرِيقَ الْخَيْرِ ثُمَّ لَا يَسْلُكُهُ، وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ حَسَنَةً، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، فَهَذَا يُعْتَبَرُ مُخَالِفًا، وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ هَلَكَ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

(٢) وَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ أَنْ يُخْطِئَ، مَهْمَا كَانَتْ رُتْبَتُهُ فِي الْعِلْمِ.

* وَقَدْ تَرْتَقِي هَذِهِ الْأَفْكَارُ إِلَىٰ مَقَاصِدَ، وَعِلَلٍ، لَا نُدْرِكُ غَوْرَهَا، وَلَا نُحِيطُ بِكُنْهِهَا، وَاللهُ يَتَوَلَّاهَا، وَهُوَ حَسْبُنَا، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ: ارْجِعُوا إِلَىٰ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ، مَرَّةً ثَانِيَةً... وَاعْتَنُوا بِكُتُبِهِمْ، وَتَأَمَّلُوهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا مَا يَكْفُلُ لَكُمُ السَّعَادَةَ دِينًا وَدُنْيَا، وَمَا يَحْفَظُكُمْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وَمَوَاطِنِ الْمِحَنَ.(١)

* وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، تَعَلُّمًا، وَتَعْلِيمًا، وَتَطْبِيقًا.

* وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَزَكُّوهَا، وَعَلَىٰ مُجْتَمَعِكُمْ، فَعِظُوهُ الْمَوَاعِظَ الْحَسَنَةَ، وَدَعُوا مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ، وَمَا لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ نَفْعٌ، فَإِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكَ مَا لَا يَعْنِيهِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفِصَلِ» (ج٤ ص٢٢٧): (فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، تَحَفَّظُوا بِدِينِكُمْ، وَنَحْنُ نَجْمَعُ لَكُمْ بِعَوْنِ اللهِ الْكَلَامَ، الْزَمُوا الْقُرْآنَ، وَسَنَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعُونَ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ عَصْرًا عَصْرًا؛ الَّذِينَ طَلَبُوا الْأَثَرَ؛ **فَلَزِمُوا الْأَثَرَ، وَدَعُوا كُلَّ مُحْدَثَةٍ**، فَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ). اهـ

* فَهَلْ عِنْدَكُمْ شَكٌّ فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) وَبِسَبَبِ هَؤُلَاءِ الْمُقَلِّدَةِ، الْمُتَعَصِّبَةِ لِزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَالِاخْتِلَافَاتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَالُ: ٤٦].

* هَلْ يُخَالِجُكُمْ شَكٌّ فِي الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ، وَفِقْهِ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ؟!.[1]

اسْأَلُوا أَنْفُسَكُمْ فِي ذَلِكَ؟!.

* فَأَقْبِلُوا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، تَعَلُّمًا، وَتَعْلِيمًا، وَتَطْبِيقًا.

* وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ عُلَمَائِكُمْ، وَاثِقِينَ بِهِمْ، مَحْتَرِمِينَ لَهُمْ، ثُمَّ اقْتَدُوا بِهِمْ فِي الدِّينِ.

* فَأَعْطِ هَذِهِ النَّصِيحَةَ قَلْبَكَ وَقَالَبَكَ، وَتَمَعَّنْ فِي مَضْمُونِهَا، ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ وَاقِعِ الْمُقَلِّدَةِ، لِتَرَىٰ لِأَيِّ مَنْحًىٰ يَنْحَوْنَ، وَأَيِّ سَبِيلٍ يَتَّجِهُونَ، وَيَنْهَجُونَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٢٧].

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ، وَالْهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَثَرِيُّ

---

(١) هَلْ عِنْدَكُمْ شَكٌّ فِي بَقِيَّةِ السَّلَفِ؛ مِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ الْفَوْزَانُ، وَغَيْرُهُمْ.

* وَلَقَدْ أَلْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ الضَّوْءَ عَلَىٰ الْأُصُولِ، مُؤَيَّدَةً بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، فَأَجْزَلَ اللهُ لَهُمُ الْمَثُوبَةَ، وَرَحِمَهُمْ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى نَصِيحَةِ الْإِمَامِ: إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلْثِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَى الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِيمَا تَأَوَّلَهُ فِي الدِّينِ[1]

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الذَّيْلِ عَلَىٰ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» (ج٣ ص٤٤٥)؛ فِي تَرْجَمَةِ: الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلْثِيِّ: (إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ الْعَلْثِيُّ، الزَّاهِدُ، الْقُدْوَةُ أَبُو الْفَضْلِ، وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ.

*** وَكَانَ قُدْوَةً، صَالِحًا، زَاهِدًا، فَقِيهًا، عَالِمًا، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ، نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا يَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهُ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.**[2]

---

(١) **قُلْتُ**: وَهَذَا يَدُلُّ أَنَّ الْفَقِيهَ، يُخْطِئُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، لِذَلِكَ: وَجَبَ نُصْحُهُ فِي الدِّينِ، وَلَا بَأْسَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ أَمَامَ الْمَلَأِ، مَا دَامَ أَفْتَىٰ وَتَكَلَّمَ أَمَامَهُمْ.

وَانْظُرْ: «الْمَقْصَدَ الْأَرْشَدَ» لِابْنِ مُفْلِحٍ (ج١ ص٢٤٦٠)، وَ«الْمَنْهَجَ الْأَحْمَدَ» لِلْعُلَيْمِيِّ (ج٤ ص٢٢١)، وَ«سِيَرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (ج٢٣ ص١٠).

(٢) قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَكْثَرُ إِنْكَارًا، لِلْمُنْكَرِ مِنْهُ، وَحُبِسَ عَلَىٰ ذَلِكَ مُدَّةً!.

* وَهُوَ شَيْخُ الْعِرَاقِ، وَالْقَائِمُ بِالْإِنْكَارِ عَلَى الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ أَخْطَئُوا فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ.

انْظُرْ: «الذَّيْلَ عَلَىٰ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ج٣ ص٤٤٥).

* وَلَهُ رَسَائِلُ كَثِيرَةٌ إِلَىٰ الْأَعْيَانِ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَالنُّصْحِ لَهُمْ... **وَأَرْسَلَ رِسَالَةً طَوِيلَةً إِلَىٰ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ**(١)، **فِيمَا يَقَعُ فِي كَلَامِهِ مِنَ الْمَيْلِ إِلَىٰ أَهْلِ التَّأْوِيلِ؛ يَقُولُ فِيهَا**: مِنْ عُبَيْدِ اللهِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ الْعَلْثِيِّ، إِلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، حَمَانَا اللهُ وَإِيَّاهُ مِنَ الِاسْتِكْبَارِ عَنْ قَبُولِ النَّصَائِحِ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاهُ لِاتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَبَصَّرَنَا بِالسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ، وَلَا حَرَمَنَا الِاهْتِدَاءَ بِاللَّفَظَاتِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَعَاذَنَا مِنَ الِابْتِدَاعِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ تَرَكَنَا عَلَىٰ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، وَأَكْمَلَ اللهُ تَعَالَىٰ لَنَا الدِّينَ، وَأَغْنَانَا عَنْ آرَاءِ الْمُتَنَطِّعِينَ، فَفِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مَقْنَعٌ لِكُلِّ مَنْ رَغِبَ أَوْ رَهِبَ، وَرَزَقَنَا اللهُ تَعَالَىٰ الِاعْتِقَادَ السَّلِيمَ، وَلَا حَرَمَنَا التَّوْفِيقَ، فَإِذَا حُرِمَهُ الْعَبْدُ لَمْ يَنْفَعِ التَّعْلِيمُ، وَعَرَّفَنَا أَقْدَارَ نُفُوسِنَا، وَهَدَانَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، وَبَعْدَ حَمْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، فَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ: «**الدِّينَ النَّصِيحَةُ**»(٢)؛ خُصُوصًا لِلْمَوْلَىٰ الْكَرِيمِ، وَالرَّبِّ الرَّحِيمِ، فَكَمْ قَدْ زَلَّ قَلَمٌ، وَعَثَرَ قَدَمٌ، وَزَلَقَ

---

(١) **قُلْتُ**: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَىٰ الْعَالِمِ إِذَا أَخْطَأَ وَزَلَّ فِي الدِّينِ.

* وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَأْتِي لَنَا مُتَعَالِمٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ، لَا يَرْضَىٰ بِالرَّدِّ عَلَىٰ فَقِيهٍ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الْأُصُولِ، أَوْ أَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَكَأَنَّهُ عِنْدَهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْخَطَأِ!، يَقُولُ ذَلِكَ بِلِسَانِ حَالِهِ.

* **وَالْأَصْلُ**: فِي الدِّينِ أَنَّ الْعَالِمَ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، فَيَجِبُ الرَّدُّ عَلَيْهِ إِذَا زَلَّ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مَرْتَبَتُهُ فِي الدِّينِ، لِتُحْذَرَ زَلَّتُهُ، وَلَا تُؤْخَذُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج٣٢ ص٢٣٩): (وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْبَعَ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ). اهـ.

(٢) **قُلْتُ**: وَمِنْ حَقِّ الْعَالِمِ، أَنْ يُنْصَحَ إِذَا زَلَّ، أَوْ أَخْطَأَ، فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**».

مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٧٤).

مُتَكَلِّمٌ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، قَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٍ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الْحَجُّ: ٨].

وَأَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَمَا يَزَالُ يَبْلُغُ عَنْكَ، وَيُسْمَعُ مِنْكَ، وَيُشَاهَدُ فِي كُتُبِكَ الْمَسْمُوعَةِ عَلَيْكَ، تَذْكُرُ كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَأِ، اعْتِقَادًا مِنْكَ: أَنَّكَ تَصْدَعُ بِالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ مُحَابَاةٍ، **وَلَا بُدَّ مِنَ الْجَرَيَانِ فِي مَيْدَانِ النُّصْحِ، إِمَّا لِتَنْتَفِعَ إِنْ هَدَاكَ اللهُ، وَإِمَّا لِتَرْكِيبِ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْكَ، وَيَحْذَرُ النَّاسُ قَوْلَكَ الْفَاسِدَ**، وَلَا يَغُرُّكَ كَثْرَةُ اطِّلَاعِكَ عَلَىٰ الْعُلُومِ؛ «**فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ**»، وَ«**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فَقْهَ لَهُ**»، وَ«**رُبَّ بَحْرٍ كَدِرٍ، وَنَهْرٍ صَافٍ**»، فَلَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنَ الرَّسُولِ، حَيْثُ قَالَ لَهُ الْإِمَامُ عُمَرُ: أَتُصَلِّي عَلَىٰ ابْنِ أُبَيٍّ؟، فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٨٤]، وَلَوْ كَانَ لَا يُنْكِرُ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ عَلَىٰ مَنْ كَثُرَ عِلْمُهُ؛ إِذًا لَتَعَطَّلَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَصِرْنَا كَبَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٧٩]؛ بَلْ يُنْكِرُ الْمَفْضُولُ عَلَىٰ الْفَاضِلِ، وَيُنْكِرُ الْفَاجِرُ عَلَىٰ الْوَلِيِّ، عَلَىٰ تَقْدِيرِ مَعْرِفَةِ الْوَلِيِّ، وَإِلَّا فَأَيْنَ الْعَنْقَاءُ[1] لِيُطْلَبَ؟، وَأَيْنَ السَّمَنْدَلُ[2]، لِيُجْلَبَ؟.

---

(١) **الْعَنْقَاءُ**: طَائِرٌ مُتَوَهَّمٌ لَا وُجُودَ لَهُ، **وَيُقَالُ**: عَنْقَاءُ مُغْرِبُ.

* وَهُوَ مِثَالٌ: يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ الَّذِي لَا يُنَالُ.

انْظُرْ: «مُخْتَارَ الصِّحَاحِ» لِلرَّازِيِّ (ص١٩٢)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٥ ص٣١٣٦).

(٢) **السَّمَنْدَلُ**: كَسَفَرْجَلٍ، دُوَيْبَّةٌ زَحَّافَةٌ.

انْظُرْ: «تَاجَ الْعَرُوسِ» لِلزَّبِيدِيِّ (ج١١ ص٣٩)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج١١ ص٣١٨).

* **إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ النَّكِيرُ عَلَيْكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ**[1]، **وَالْأَخْيَارِ فِي الْآفَاقِ بِمَقَالَتِكَ الْفَاسِدَةِ فِي الصِّفَاتِ**، وَقَدْ أَبَانُوا وَهَاءَ مَقَالَتِكَ، وَحَكَوْا عَنْكَ أَنَّكَ أَبَيْتَ النَّصِيحَةَ، فَعِنْدَكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِالسُّنَّةِ مَا يَضِيقُ الْوَقْتُ عَنْ ذِكْرِهَا، فَذُكِرَ عَنْكَ أَنَّكَ ذَكَرْتَ فِي الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَصْلًا؛ زَعَمْتَ أَنَّهُ مَوَاعِظُ، وَهُوَ تَشْقِيقٌ وَتَفْهِيقٌ، وَتَكَلُّفٌ بَشِعٌ، خَلَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِي لَا يُخَالِفُ سُنَّةً، فَعَمِدْتَ وَجَعَلْتَهَا مُنَاظَرَةً مَعَهُمْ، فَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي ذَلِكَ؟، وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَقَدْ قَرَنَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِمْ قَبْلَ أُولِي الْعِلْمِ، وَمَا عَلَيْنَا كَانَ الْآدَمِيُّ أَفْضَلَ مِنْهُمْ أَمْ لَا، فَتِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَىٰ.

فَشَرَعْتَ تَقُولُ: إِذَا ثَارَتْ نَارُ الْحَسَدِ فَمَنْ يُطْفِيهَا؟، وَفِي الْغِيبَةِ مَا فِيهَا، مَعَ كَلَامٍ غَثٍّ، أَلَيْسَ مِنَّا فُلَانٌ؟ وَمِنَّا فُلَانٌ؟ وَمِنَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ!.

---

(١) إِنَّ مِنَ الْمُتَقَرِّرِ فِي الشَّرْعِ، وَالْعَقْلِ، وَالْعُرْفِ؛ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَأِ؛ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

* فَالْخَطَأُ طَبِيعَةٌ، بَشَرِيَّةٌ فِي الْعُلَمَاءِ، وَغَيْرِهِمْ.

* إِنَّ الْمُتَقَرِّرَ شَرْعًا، أَنَّ الْعُلَمَاءَ غَيْرُ مَعْصُومِينَ، بَلْ هُمْ عُرْضَةٌ لِلْخَطَأِ وَالسَّهْوِ، فَتَقَعُ مِنْهُمُ: الْأَخْطَاءُ، لِذَلِكَ: لَا يَأْتِي مُقَلِّدٌ فَيَتَعَصَّبُ لِزَلَّةِ عَالِمٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِدُهُ الْمَوَارِدَ الْمُهْلِكَةِ فِي الدِّينِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْحِوَارِ» (ص٢٠)؛ عَنْ كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَةِ الْعُلَمَاءِ: (الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، فَهُوَ عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَلَا رَسُولٍ.

* **وَكَذَلِكَ**: شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَابْنُ الْقَيِّمِ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

* وَالْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ؛ كُلُّهُمْ: يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ، وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا وَافَقَ الْحَقَّ، وَمَا يُخَالِفُ الْحَقَّ، يُرَدُّ عَلَىٰ قَائِلِهِ، وَلَوْ كَانَ كَبِيرًا). اهـ.

* مَنْ فَعَلَ هَذَا مِنَ السَّلَفِ قَبْلَكَ؟ وَلَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَلَيْسَ مِنْكُمْ فِرْعَونَ وَهَامَانَ؟ أَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنِ ادَّعَىٰ الرُّبُوبِيَّةَ؟

* فَعَمَّنْ أَخَذْتَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الْمُحْدَثَةَ، وَالْعِبَارَاتِ الْمُزَوَّقَةَ، الَّتِي لَا طَائِلَ تَحْتَهَا، وَقَدْ شَغَلْتَ بِهَا النَّاسَ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، أَحَدُهُمْ قَدْ أُنْسِيَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ يُعِيدُ فَضْلَ الْمَلَائِكَةِ وَمُنَاظَرَتِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُ بِهِ فِي الْآفَاقِ، فَأَيْنَ الْوَعْظُ وَالتَّذْكِيرُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الشَّنِيعَةِ الْبَشِعَةِ؟

ثُمَّ تَعَرَّضْتَ لِصِفَاتِ الْخَالِقِ تَعَالَىٰ(١)؛ كَأَنَّهَا صَدَرَتْ: لَا مِنْ صَدْرٍ سَكَنَ فِيهِ احْتِشَامُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَلَا أَمْلَاهَا قَلْبٌ مَلِيءٌ بِالْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ، بَلْ مِنْ وَاقِعَاتِ النُّفُوسِ الْبَهْرَجِيَّةِ الزُّيُوفِ، وَزَعَمْتَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْأَخْيَارِ تَلَقَّوْهَا وَمَا فَهِمُوا؛ وَحَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، بَل كَفُّوا عَنِ الثَّرْثَرَةِ وَالتَّشَدُّقِ، لَا عَجْزًا - بِحَمْدِ اللهِ - عَنِ الْجِدَالِ وَالْخِصَامِ، وَلَا جَهْلًا بِطُرُقِ الْكَلَامِ، **وَإِنَّمَا أَمْسَكُوا عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ وَدِرَايَةٍ، لَا عَنْ جَهْلٍ وَعِمَايَةٍ.**

---

(١) وَعَلَيهِ إِذَا بَيَّنْتَ خَطَأَ عَالِمٍ فِي تَأْوِيلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ -مَثَلًا-، فَإِنَّ ذَلِكَ: مِمَّا يُحِبُّهُ الْعُلَمَاءُ، وَيُثْنُونَ عَلَىٰ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج٣٥ ص٦٩): (فَأَمَّا الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ: فَلَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ، وَهَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ.

* وَأَمَّا مَا اجْتَهَدُوا فِيهِ: فَتَارَةً يُصِيبُونَ، وَتَارَةً يُخْطِئُونَ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُوَافَقَاتِ» (ج٤ ص١٧٠): (إِنَّ زَلَّةَ الْعَالِمِ، لَا يَصِحُّ اعْتِمَادُهَا مِنْ جِهَةٍ، وَلَا الْأَخْذُ بِهَا تَقْلِيدًا لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ عَلَىٰ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ، وَلِذَلِكَ: عُدَّتْ زَلَّةً). اهـ.

قُلْتُ: لِذَلِكَ صَارَتْ زَلَّاتُ الْعُلَمَاءِ، لِلْمُقَلِّدَةِ فِتْنَةً، فَضَلُّوا بِسَبَبِهَا فِي الدِّينِ.

* **وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ السَّلَفِ**(١)**، وَلَا يَرَىٰ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ، ثُمَّ يُقْدِمُ عَلَىٰ تَفْسِيرِ مَا لَمْ يَرَهُ أَوَّلًا**، وَيَقُولُ: إِذَا قُلْنَا كَذَا أَدَّىٰ إِلَىٰ كَذَا، وَيَقِيسُ مَا ثَبَتَ مِنْ صِفَاتِ الْخَالِقِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ، فَهَذَا الَّذِي نَهَيْتَ عَنْهُ، وَكَيْفَ تَنْقُضُ عَهْدَكَ وَقَوْلَكَ بِقَوْلِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ؟ فَلَا تُشْمِتْ بِنَا الْمُبْتَدِعَةَ فَيَقُولُونَ: تَنْسِبُونَنَا إِلَىٰ الْبِدَعِ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ بِدَعًا مِنَّا، أَفَلَا تَنْظُرُونَ إِلَىٰ قَوْلِ مَنِ اعْتَقَدْتُمْ سَلَامَةَ عَقْدِهِ، وَتُثْبِتُونَ مَعْرِفَتَهُ وَفَضْلَهُ؟! كَيْفَ أَقُولُ مَا لَمْ يُقَلْ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَتَبِعَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي آرَائِهِمْ، وَتَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ فِيمَا خَاضُوا فِيهِ، ثُمَّ تُنْكِرُ عَلَيْهِم؟ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ! وَلَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا وَصَفَ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ بِصِفَاتٍ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَلَا خَبَرٍ صَادِقٍ؛ لَكَانَ كَاذِبًا فِي إِخْبَارِهِ، فَكَيْفَ تَصِفُونَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِشَيْءٍ مَا وَقَفْتُمْ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، بَلْ بِالظُّنُونِ وَالْوَاقِعَاتِ، وَتَنْفُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَخْبَرَ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ بِنَقْلِ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ، بِيُحْتَمَلُ، وَيُحْتَمَلُ؟!.

* ثُمَّ لَكَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَسْمَيْتَهُ: «الْكَشْفَ لِمُشْكِلِ الصَّحِيحَيْنِ»؛ مَقَالَاتٌ عَجِيبَةٌ، تَارَةً تَحْكِيهَا عَنِ الْخَطَّابِيِّ وَغَيرِهِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، أَطَّلَعَ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ الْغَيْبِ؟ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا يَجُوزُ التَّقْلِيدُ فِي هَذَا(٢)، ثُمَّ ذَكَرَهُ فُلَانٌ، ذَكَرَهُ ابْنُ عَقِيلٍ، فَنُرِيدُ الدَّلِيلَ مِنَ الذَّاكِرِ أَيْضًا، فَهُوَ مُجَرَّدُ دَعْوَىٰ، وَلَيْسَ الْكَلَامُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ بِالْهَيِّنِ لِيُلْقَىٰ إِلَىٰ مَجَارِي الظُّنُونِ.

---

(١) وَقَدْ وُجِدَ هَذَا الصِّنْفُ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ السَّلَفِ بِزَعْمِهِ، وَهُوَ يَعْمَلُ بِمَذْهَبِ الْخَلَفِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

(٢) فَزَلَّةُ الْعَالِمِ تَكُونُ فِتْنَةً لِلْمُقَلِّدِ، حَتَّىٰ يَصِلَ بِهِ الْأَمْرُ يُصَوِّبُ زَلَّتَهُ، وَيَجْعَلُهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَهَلَكَ الْمُقَلِّدُ وَلَا بُدَّ.

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ: كَانَ ابْنُ عَقِيلٍ الْعَالِمَ، وَإِذَا أَرَدْتَ: صَارَ لَا يَفْهَمُ، أَوْهَيْتَ مَقَالَتَهُ لِمَا أَرَدْتَ.

ثُمَّ قَالَ: وَذَكَرْتَ الْكَلَامَ الْمُحْدَثَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، ثُمَّ قُلْتَ: وَالَّذِي يَقَعُ لِي، فَبِهَذَا تُقْدِمُ عَلَىٰ اللهِ، وَتَقُولُ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا، وَالَّذِي يَقَعُ لِي؟!، تَتَكَلَّمُونَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِوَاقِعَاتِكُمْ تُخْبِرُونَ عَنْ صِفَاتِهِ؟!، ثُمَّ مَا كَفَاكَ حَتَّىٰ قُلْتَ: هَذَا مِنْ تَحْرِيفِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، تَحَكُّمًا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، وَمَا رَوَيْتَ عَنْ ثِقَةٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ غَيَّرَهُ الرَّاوِي، فَلَا يَنْبَغِي بِالرُّوَاةِ الْعُدُولِ أَنَّهُمْ حَرَّفُوا، وَلَوْ جَوَّزْتُمْ لَهُمُ الرِّوَايَةَ بِالْمَعْنَىٰ، فَهُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْإِصَابَةِ مِنْكُمْ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ إِذًا؛ كُلَّمَا رَوَيْتُمْ حَدِيثًا يَنْفِرُونَ مِنْهُ، يَقُولُونَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ تَغْيِيرِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْمَذْكُورُ فِي الصَّحِيحِ، الْمَنْقُولُ مِنْ تَحْرِيفِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَقَوْلُكُمْ، وَرَأْيُكُمْ فِي هَذَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ رَأْيِ بَعْضِ الْغُوَاةِ.

وَتَقُولُ: قَدِ انْزَعَجَ الْخَطَّابِيُّ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ، فَمَا الَّذِي أَزْعَجَهُ دُونَ غَيْرِهِ؟ وَنَرَاكَ تَبْنِي شَيْئًا ثُمَّ تَنْقُضُهُ، وَتَقُولُ: قَدْ قَالَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، **وَتَنْسِبُ ذَلِكَ إِلَىٰ إِمَامِنَا أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ، وَمَذْهَبُهُ مَعْرُوفٌ فِي السُّكُوتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا**، وَلَا يُفَسِّرُهُ، بَلْ صَحَّحَ الْحَدِيثَ، وَمَنَعَ مِنْ تَأْوِيلِهِ.

* وَكَثِيرٌ مِمَّنْ أَخَذَ عَنْكَ الْعِلْمَ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ عَلِمَ بِمَا فِي عَيْبَتِهِ مِنَ الْعَيْبِ، وَذَمَّ مَقَالَتَكَ وَأَبْطَلَهَا، وَقَدْ سَمِعْنَا عَنْكَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَىٰ الْوَاقِعَاتِ وَالْخَوَاطِرِ، وَتَدَّعِي أَنَّ الْأَصْحَابَ خَلَّطُوا فِي الصِّفَاتِ، فَقَدْ قَبَّحْتَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، وَمَا وَسِعَتْكَ السُّنَّةُ، فَاتَّقِ اللهَ

سُبْحَانَهُ، وَلَا تَتَكَلَّمْ فِيهِ بِرَأْيِكَ، فَهَذَا خَبَرُ غَيْبٍ، لَا يُسْمَعُ إِلَّا مِنَ الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ، فَقَدْ نُصِّبْتُمْ حَرْبًا لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ[1]، وَالَّذِينَ نَقَلُوهَا؛ نَقَلُوا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ.

* **ثُمَّ لَكَ قَصِيدَةٌ**: مَسْمُوعَةٌ عَلِيكَ فِي سَائِرِ الْآفَاقِ، اعْتَقَدَهَا قَوْمٌ، وَمَاتُوا بِخِلَافِ اعْتِقَادِكَ الْآنَ فِيمَا يَبْلُغُ عَنْكَ، وَسُمِعَ مِنْكَ، مِنْهَا:

وَلَـوْ رَأَيْتَ النَّـارَ هَبَّتْ، فَغَـدَتْ تَحْـرِقُ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالْعِنَـادِ
وَكُلَّمَـا أُلْقِيَ فِيهَـا حَطَمَـتْ وَأَهْلَكَتْـهُ، وَهِيَ فِي ازْدِيَـادِ
فَيَضَـعُ الْجَبَّـارُ فِيهَـا قَدَمًـا جَلَّـتْ عَنِ التَّشْبِيـهِ بِالْأَجْسَادِ
فَتَنْـزَوِي مِـنْ هَيْبَـةٍ وَتَمْتَـلِي فَلَـوْ سَمِعْـتَ صَوْتَهَا يُنَـادِي
حَسْبِي حَسْبِي قَـدْ كَفَـانِي مَـا أَرَىٰ مِـنْ هَيْبَـةٍ أَذْهَبَـتِ اشْتِـدَادِ
فَاحْـذَرْ مَقَالَ مُبْتَدِعٍ فِي قَوْلِـهِ يَـرُومُ تَـأْوِيلًا بِكُـلِّ وَادِي

فَكَيْفَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ: وَمَا مَعْنَاهَا؟، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تُحْدِثَ لَنَا قَوْلًا ثَالِثًا، فَيَذْهَبُ الِاعْتِقَادُ الْأَوَّلُ بَاطِلًا، لَقَدْ آذَيْتَ عِبَادَ اللهِ وَأَضْلَلْتَهُمْ، وَصَارَ شُغْلُكَ نَقْلَ الْأَقْوَالِ فَحَسْبُ، وَابْنُ عَقِيلٍ – سَامَحَهُ اللهُ – قَدْ حُكِيَ عَنْهُ: أَنَّهُ تَابَ بِمَحْضَرٍ مِنْ عُلَمَاءِ وَقْتِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، بِمَدِينَةِ السَّلَامِ – عَمَرَهَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ –، فَهُوَ بَرِيءٌ عَلَىٰ هَذَا التَّقْدِيرِ؛ مِمَّا يُوجَدُ بِخَطِّهِ، أَوْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ، وَالْأَقْوَالِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

(١) **قُلْتُ**: فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، فَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَ الِاعْتِدَالِ، فَيُعَظِّمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَالِمَ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ، فَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَانْظُرْ: «مِنْهَاجَ السُّنَّةِ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج٤ ص٥٤٣).

* وَأَنَا وَافِدَةُ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُفَّاظِ إِلَيْكَ، فَإِمَّا أَنْ تَنْتَهِي عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ، وَتَتُوبَ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، كَمَا تَابَ غَيْرُكَ، وَإِلَّا كَشَفُوا لِلنَّاسِ أَمْرَكَ، وَسَيَّرُوا ذَلِكَ فِي الْبِلَادِ، وَبَيَّنُوا وَجْهَ الْأَقْوَالِ الْغَثَّةِ، وَهَذَا أَمْرٌ تُشُورَ فِيهِ، وَقُضِيَ بِلَيْلٍ، وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُو مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، وَالْجَرْحُ لَا شَكَّ مُقَدَّمٌ عَلَىٰ التَّعْدِيلِ، وَاللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ.

* وَإِذَا تَأَوَّلْتَ الصِّفَاتِ عَلَىٰ اللُّغَةِ، وَسَوَّغْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَبَيْتَ النَّصِيحَةَ، **فَلَيْسَ هُوَ مَذْهَبَ الْإِمَامِ الْكَبِيرِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ**، فَلَا يُمْكِنُكَ الِانْتِسَابُ إِلَيْهِ بِهَذَا، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَذْهَبًا، إِنْ مُكِّنْتَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا زَالَ أَصْحَابُنَا يَجْهَرُونَ بِصَرِيحِ الْحَقِّ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَوْ ضُرِبُوا بِالسُّيُوفِ، لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَلَا يُبَالُونَ بِشَنَاعَةِ مُشَنِّعٍ، وَلَا كَذِبِ كَاذِبٍ، وَلَهُمْ مِنَ الِاسْمِ الْعَذْبُ الْهَنِيُّ، وَتَرْكُهُمُ الدُّنْيَا، وَإِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا اشْتِغَالًا بِالْآخِرَةِ؛ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مَعْرُوفٌ.

* وَلَقَدْ سَوَّدْتَ وُجُوهَنَا بِمَقَالَتِكَ الْفَاسِدَةِ، وَانْفِرَادِكَ بِنَفْسِكَ، كَأَنَّكَ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَلَا كَرَامَةَ لَكَ وَلَا نُعْمَىٰ[1]، وَلَا نُمَكِّنُكَ مِنَ الْجَهْرِ بِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، وَلَوْ اسْتُقْبِلَ مِنَ الرَّأْيِ مَا اسْتُدْبِرَ: لَمْ يُحْكَ عَنْكَ كَلَامٌ فِي السَّهْلِ، وَلَا فِي الْجَبَلِ، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا

(١) الْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ طُلِبَ مِنْهُ فِعْلُ شَيْءٍ فَاسْتَجَابَ: «**أَفْعَلْهُ وَكَرَامَةً وَنُعْمَىٰ عَيْنٍ**»، وَتَقُولُ خِلَافَ ذَلِكَ: «**لَا أَفْعَلُهُ وَلَا كَرَامَةَ وَلَا نِعْمَةَ عَيْنٍ**»، وَلِهَذَا الْقَوْلِ عِبَارَاتٌ أُخْرَىٰ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ.

شَاءَ فَعَلَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ[1]، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النِّسَاءُ:٥٩]؛ وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ ابْنِ الْجَوْزِيِّ!.

* وَتَرَىٰ كُلَّ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْكَ؛ نَسَبْتَهُ إِلَىٰ الْجَهْلِ![2]، فَفَضْلُ اللهِ أُوتِيتَهُ وَحْدَكَ؟، وَإِذَا جَهَّلْتَ النَّاسَ فَمَنْ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ عَالِمٌ؟، وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْكَ، **حَيْثُ لَا تُصْغِي إِلَىٰ نَصِيحَةِ نَاصِحٍ**؟، وَتَقُولُ: مَنْ كَانَ فُلَانٌ، وَمَنْ كَانَ فُلَانٌ؟، مِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ وَصَلَ الْعِلْمُ إِلَيْكَ عَنْهُمْ، مَنْ أَنْتَ إِذًا؟، **فَلَقَدِ اسْتَرَاحَ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَأَحْجَمَ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، لِئَلَّا يَنْدَمَ**.

* فَانْتَبِهْ يَا مِسْكِينُ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَحَسِّنِ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ، فَقَدْ قَرُبَ الْأَجَلُ، للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ). اهـ.

تَمَّتِ النَّصِيحَةُ الذَّهَبِيَّةُ.

❁ ❁ ❁

(١) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُعَالَجَةِ خَطَأِ الْعَالِمِ فِي الدِّينِ، وَلَا يُتْرَكُ بِدُونِ تَبْيِينٍ، وَذَلِكَ: بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبِآثَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(٢) **قُلْتُ**: مَا أَكْثَرُ مَقَالَةَ الْمُقَلِّدَةِ إِذَا أَنْكَرْتَ عَلَيْهِمْ مَا أَخْطَئُوا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الرَّقْمُ	الْمَوْضُوعُ	الصَّفْحَةُ
١)	إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَتْوَىٰ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ حَجَرٍ آلِ بُو طَامِيٍّ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ الَّذِي يُحِيطُ بِالْمُسْلِمِ إِذَا أَخَذَ بِزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ فِي الدِّين....	٥
٢)	الْمُقَدِّمَةُ.....	٧
٣)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ نَصِيحَةِ الْإِمَامِ: إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلْثِيّ، إِلَىٰ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، فِيمَا تَأَوَّلَهُ فِي الدِّينِ.....	٢٣

حدثنا و أخبرنا
مكتبة أهل الحديث